

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس الثامن والأربعون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - في **باب ما جاء في منكروا القدر**

وعن عبادة ابن الصامت أنه قال لابنه: (يا بني انك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم فقال: له اكتب، فقال: ربي ماذا أكتب قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مات على غير هذا فليس مني)) وفي رواية لأحمد ((إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: له اكتب فجرى في تلك الساعة لما هو كائن إلى يوم القيامة))

وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: ((فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار)) وفي المسند والسنن عن ابن الديلمى قال: ((أتيت أبا ابن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت متن أهل النار، قال: فأتيت عبد الله ابن مسعود، و حذيفة ابن اليمان، وزيد ابن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ)) حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحة .

[الشرح]: نقل المصنف - رحمه الله تعالى - عن عبادة ابن الصامت - رضي الله عنه - ، وعبادة: من

أصحاب النبي ﷺ وهو من السابقين الأولين من الأنصار إلى الإسلام، أنه قال لابنه، ابنه هو الوليد ابن عبادة، وكان قد ولد في عهد النبي ﷺ، لكنه كان صغيراً فلم تثبت له صحبة؛ ولذلك يعد من كبار التابعين، "أنه قال لابنه": ويروى أنه قال له ذلك وهو على فراش الموت ولا يخفاكم أن الإنسان على فراش الموت يمحض النصح ولا يقول إلا ما يرى أنه أوكد الكلام وأهمه وأنصحته للسامعين لاسيما إذا كان المخاطب فلذة كبده ابنه فلذلك قال: "يا بني": وهذا تلطف فإن مثل هذه المقدمة تستجيش عاطفة المخاطب "يا بني انك لن تجد طعم الإيمان":

الإيمان له طعم - إي والله - يقول النبي ﷺ ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان)) إذا الإيمان له طعم

وطعمه هو حلاوته. لكن هذه الحلاوة هل هي حلاوة حسية؟

نعم حسية بمعنى أن الإنسان يحسها، لكن لا يلزم من كونها حسية أن تكون كطعم السكر، مثلاً، لا ليس شيء من ذلك ولكن المراد أنه وجد يجده المؤمن في قلبه بهجة وسرور وانسراح هذا هو المراد بقوله طعم الإيمان، "حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطأك": أن ما أصابك يعني ما قدر الله عليك من المصائب لا بد أن ينفذ فيك ويمضي لا بد لا يمكن أن يتخلف وبالمقابل: "وما أخطأك لم يكن ليصيبك" ما صرفه الله عنك من المقادير فلا يمكن بحال أن ينالك لما لأن كل شيء بقدر فليس شيء في هذا الكون يقع خبط عشواء وضربة لازب بل كل شيء عنده بمقدار يجب أن يمتلئ القلب بهذا اليقين أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وبذلك تسقط من القاموس كلمات من أمثال لو وليت ونحو هذه الكلمات الاستدراكية التي لا ترد مفقوداً ولا تمنع موجوداً.

"سمعت رسول الله ﷺ يقول": هذا استدلال من عبادة - رضي الله عنه - على تلك المقدمة وهكذا ينبغي لمن قرر شيئاً أن يعبد مقالته بالدليل حتى يحصل على القبول، "قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم يقول: إن أول ما خلق الله القلم": القلم تحتمل أن نضبها منصوبة بالفتح أو أن تكون مرفوعة إن جعلناها منصوبة فمعنى ذلك أنها وقعت مفعول به لخلق فيكون المراد حينئذ أنه ساعة أن خلق الله القلم قال له اكتب فأول دالة على الظرفية والقلم تسلط عليها العامل خلق فنصبها فيكون المراد ساعة أن خلق الله القلم قال له اكتب إلى آخر الحديث، ويمكن أن تكون القلم بالرفع فيكون المراد أنه هو أول المخلوقات إن أول ما خلق الله القلم فيكون القلم هو خبر إن وخبر إن كما تعلمون يكون مرفوعاً فيكون على الجملة أن أول المخلوقات هو القلم ولكن هذه الأولوية أولية نسبية لأن العرش هو أول المخلوقات هذا هو القول الصحيح.

وبين العلماء خلاف في أول المخلوقات العرش أو القلم لكن العرش هو أول المخلوقات ولهذا قال الله - عز وجل -: { وكان عرشه على الماء } فهو سابق لخلق السماوات والأرض إذ كان العرش موجوداً قبل خلق السماوات والأرض فتكون أولية القلم أولية بالنسبة لخلق السماوات والأرض فهي أولية نسبية، "فقال: له اكتب، فقال: ربي وماذا أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة"، يعني من تلك اللحظة إلى أن تقوم الساعة اكتب مقادير كل شيء إذا انصاع القلم لأمر ربه - عز وجل - فجرى، "يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول من مات على غير هذا فليس مني": هذه براءة من النبي ﷺ من منكري القدر، وأن من لم يؤمن بما دل عليه هذا

الحديث فإن النبي ﷺ تبرأ منه وهذه براءة كاملة يعني براءة تقتضي النقل عن الملة لأن منكري القدر كفار إذ القدر من أركان الإيمان.

هذا الأثر عن عبادة أو هذا الحديث؛ لأنه تضمن قول النبي ﷺ **قد رواه أبو داود**، والترمذي، والطيايبي، وكذلك رواه ابن أبي عاصم وسنده حسن - بحمد الله - وهو مما يحتمل وأنتم تعلمون من علم مصطلح الحديث أن الحديث الصحيح والحديث الحسن يعاملان بالقبول فيقبل خبرهما ويعمل بحكمهما.

ثم قال "وفي رواية لأحمد": لكن هذه الرواية القادمة ضعيفة وقد احتمل العلماء ولم يزالوا يهتمون مثل هذا لكنها بهذا السياق ضعيفة لكنها إذا ضمت إلى الشواهد وغيرها يعني كانت مقبولة المعنى وربما كان لها طرق يعضد بعضها بعضا لكن رواية أحمد على كل حال ضعيفة، **"إن ما أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة":** وهذا المعنى مطابق لما تقدم، **"وفي رواية لابن وهب":** وهذه الرواية التي عن ابن وهب عبد الله ابن وهب ابن مسلم المصري ثقة كانت وفاته سنة مائة وسبع وتسعين وفي رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ: **"فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار"** - عياذا بالله - هذه الرواية قد رواها ابن أبي عاصم والآجري أبو الحسين الآجري - رحمه الله - صاحب أخلاق العلماء وصاحب الشريعة فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار وهذا يدل على كفر منكر القدر.

إذا نستفيد من هذا الأثر:-

أولاً: وجوب الإيمان بالقدر وهذا ظاهر بين وجوب الإيمان بالقدر؛ قال عبادة رفعه إلى النبي ﷺ "من

مات على غير هذا فليس مني" فهذا يدل على وجوب الإيمان بالقدر

ثانياً: فيه ما يدل على إثبات حلاوة الإيمان وأن الإيمان بالقدر من أسباب حصولها وقد تعجبون - أيها

الإخوان - كيف يكون الإيمان بالقدر بما فيه الأقدار المؤلمة منتجاً للحلاوة مع أن الأقدار المؤلمة تجلب المرارة غالباً لكن المؤمنين تستحيل النعمة في حقهم نعمة والمحنة منحة؛ ولهذا قال ربنا - عز وجل - : { ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه } هداية القلب هذه حلاوة ولذلك بعض الناس تقع عليه المصائب المتوالية فيسترجع، قال علقمة "هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فتتقلب المحنة في حقه إلى منحة" ويجد لذلك انشراحاً وثمرات عظيمة؛ ولهذا كان أمره أي المؤمن كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خير له وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، ولهذا جاء في صحيح مسلم "لا يقضي الله

على المؤمن قضاء إلا كان خيرا له " هذا من العجائب لا يقضي الله على المؤمن قضاء إلا كان خيرا له لأن المؤمن - جعلني الله وإياكم منهم - إذا وقع عليه شيء من هذه الأقدار المؤلمة تذكر أن كل شيء بقدر وأن الله - سبحانه وتعالى - رب كل شيء ومليكه فيقابل هذا القدر المؤمن بالتسليم والرضا واحتساب الثواب على الله - سبحانه وتعالى - فينقلب ذلك في حقه منحة، ولهذا يعني شواهد كثيرة عند الناس حتى انه يقع للعامة ممن لا يحملون ورقا ولا كراسا من يكون عنده من اليقين والرضا بالقدر ما ليس عند كثير من طلبة العلم أو غيرهم، حدثت عن رجل رأى ابنه يصدع أمام ناظره وكان وحيداً وخر الولد صريحا أمام والده فما كان من الأب إلا احتمله بين يديه وقال اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت فلك الحمد ما شاء الله، فهذا اليقين الذي ينزله الله - سبحانه وتعالى - على قلب المؤمن يصبح حلاوة وشراحي لا تصفها الكلمات ولا تعبر عنها الجمل بل هو أمر وجدي نقول

- مما نستفيدة أيضا **إثبات القلم وكتابة المقادير يعني إثبات القلم حقيقي والكتابة الحقيقية**، ولا يجوز تأويل هذه الأشياء تأويلا مجازيا كما تصنع المعتزلة فيقول القلم كناية عن كذا بل يقال هو قلم حقيقي الله أعلم بكيفيته وصفته لكنه قلم وقلم يكتب، ولهذا لما عرج بالنبي ﷺ سمع صريف الأقلام أقلام القدر صريف الأقلام هذا يدل على إن الخبر حقيقي، ويدل على بطلان طريقة أهل التأويل الذين يتسلطون على النصوص ويلوون أعناقها ويحملونها على معاني مجازية فكأنما كلّفوا بهذا أن يصرفوا الكلام عن حقيقته إلى مجازة من غير ما موجب.

- فيه أيضا **تعليم الولد أنه ينبغي للأب تعليم الولد والنصح له والتلطف معه**، وكثير من الناس يكون قليل النفع لأولاده يظن أن واجبه تجاه أولاده أن يطعمهم ويسقيهم ويلبسهم ويؤويهم بس لكنه لا يسوق إليه علما، ولا يبذل له نصيحة هذا تقصير بالغ بل حاجتهم إلى التربية والتعليم والنصح أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب واللباس، فينبغي لطالب العلم وصاحب العلم أن يجتهد مع الأذنين قبل الأبعدين وأن ينفع أهله وقرابته فهذا عبادة ابن الصامت يتلطف مع ابنه ويسوق له الأحاديث وهكذا ينبغي لكل مؤمن أن يجعل لأهله نصيبا من وقته يقرأ عليهم كتابا ويشرح لهم ويبين لهم ما يحتاجون إليه.

- وفيه أيضا **ما يدل على قرن الحكم بالدليل** وهذا كثير في ثنايا ما تقدم.

ثم قال " وفي المسند والسنن " : المراد بالمسند مسند الإمام أحمد. ما الفرق - أيها الإخوان - بين المسانيد

والسنن من حيث التصنيف: ما هو الفرق بين المسانيد والسنن لماذا يسمى هذا مسند ويسمى هذا سنن؟

المسانيد: ما رتبت فيه الأحاديث على أسماء الصحابة، **والسنن:** على الأبواب يعني على أبواب الفقه على

الموضوعات يعني المحدثون - رحمهم الله - لهم طرائق شتى في ترتيب مروياتهم فمن رتبها على أسماء الصحابة مثلا قيل عنه مسند كمسند الإمام أحمد وغيرهم مسانيد كثيرة جدا فيقول مسند أبي بكر الصديق ثم يسوق فيه الأحاديث عن أبي بكر قد يكون واحد في الإيوان، واحد في الطهارة، وواحد في الأضاحي وواحد في كذا، كذا لا يجمعها موضوع واحد، ثم الطريقة الثانية السنن وهو أن يرتبها على الموضوعات فيبتدئ مثلا بكتاب الطهارة ثم الصلاة ثم الزكاة وهكذا على أبواب الفقه بصرف النظر عن الراوي ينتقل من صحابي إلى صحابي، وهناك **المعاجم** وهي التي تكون مرتبة على ما على الشيوخ يعني على الشيخ المصنف فمثلا [معجم الطبراني] يرتبه على شيوخه يعني متن حدثه يسرد من رواه عن فلان في موضع واحد فينظر إلى آخر الإسناد لا إلى صحابي وهذه طرق فنية لتقسيم العلم لكن فيما بالك أيها أنفع من الناحية العملية؟ السنن لأنها تعينك على البحث الموضوعي فقد لا يعينك من هو الصحابي الذي روى الحديث لا يعينك كثيرا لأن الصحابة كلهم عدول لكن يعينك الموضوع، وهناك من جمع بين الحسنين بالترتيب على المسانيد لعله بقى ابن مخلد رحمه الله فيرتب السنن ويرتبها داخليا على مسانيد الصحابة أو العكس.

ثم قال "عن ابن الديلمي": ابن الديلمي: كنيته أبو بسر وهو عبد الله ابن كرموز الديلمي أبوه فيروز الديلمي بما اشتهر فيروز الديلمي؟ اشتهر فيروز الديلمي بأنه قاتل الأسود العنسي مدعي النبوة في قصة مشهورة رضي الله عنه - قال: **"أتيت أبي ابن كعب"** وهو صاحب رسول الله ﷺ وتكرر معنا كثيرا في هذا الكتاب **"فقلت" يشكوا إليه "في نفسي شيء من القدر"** ما مراده - رحمه الله -؟ مراده أنه قد وقع في نفسه شك واضطراب وهذا أمر طبيعي - أيها الإخوان - أن يطيف بقلب المؤمن أحيانا شيء من الشك ولهذا جاء رجل لابن عباس فقال: "له يا ابن عباس ما شيء أجده في نفسي قال وما هو قال والله لأتكلم - به مشكلة يعني أحد يسأل سؤال ويأبى أن يفصح عنه - فضحك ابن عباس وقال شيء من شك قال نعم قال ما نجى منه أحد، ثم تلي قول الله تعالى: { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك } فدل ذلك على أن الشيطان قد يؤذي ابن آدم بهذه الشكوك، **لكن فرق - يارعاكم الله - بين الشك العارض والشبهة المستقرة: الشك العارض:** لا يكاد يسلم منه أحد يطيف بالقلب شيء من هذه التساؤلات فيفزع المؤمن بالمحكمات ويعتصم بها ويرد المتشابه إلى المحكم إلى أن يشرح الله صدره وينكشف له الأمر أو يذهب فيسأل أهل الذكر كما صنع ابن الديلمي، {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} ، **وإنما يعاب على من احتضن الشبهة،** وروج لها ودعا إليها ونشرها كما ذكرنا لكم قصة مثلا صبيغ بن

عسل، الذي جاء في زمن عمر وأخرجه عمر من المدينة وأدبه فهذا هو الذي يعاب وهو الذي يلحق بأهل الأهواء والبدع، أما شيء يعتري الإنسان غضب عنه فهذا لا يضره وقد وقع لبعض أصحاب النبي ﷺ "فأتوا إلى النبي ﷺ وقال قائلهم: يا رسول الله إن أحدنا يجد في نفسه ما لو أن يجر من السماء فتخطفه الطير كان أهون عليه من أن يتكلم به فكبر النبي ﷺ" وفي رواية "أنهم قالوا ما لو أن يكون أحدنا حممة يعني فحمة محترقة كان أهون عليه من أن يتكلم به" وفي لفظ "ما يتعظم أحدنا أن يتكلم به فكبر النبي ﷺ تعجبا" قال أوقد وجدتموه كأنها كان يتوقع أن يحصل لهم ذلك قالوا نعم قال الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة" وما كان النبي ﷺ ليحمد الله - عز وجل - إلا لأمر يدعوا إلى الطمأنينة ما الذي قال عنه الحمد لله ليس ذلك يعني مدحا للوسوسة ثم قال في آخرة "ذاك محض الإيوان".

هل يمكن أن تكون الوسوسة محض الإيوان أو صريح الإيوان؟ لا الوسوسة من الشيطان إذا ما هو محض

الإيوان وصريجه استشناعهم وانزعاجهم من هذا الذي وقع في نفوسهم هذا دليل على صراحة الإيوان في قلوبهم فإذا وقع في قلبك شيء من ذلك ووجدت نفسك منزعا منقبضا حتى كما قال الصحابة تتمنى أن لو تحر من السماء دون أن تنطق به فاعلم أن ذلك دليل على صراحة الإيوان في قلبك فاحمد الله - سبحانه وتعالى -، إذا متى يكون الشيء مدعاة للقلق؟ إذا كان الإنسان يسترسل معه، ويعجبه ذلك ومثلا يفصل وإذا جلس في مجلس صار ينثر كنانته ويخرج خبيثة نفسه ويبث هذه الوسواس، وأما إذا كان ينزعج من ذلك ويتضايق منه ويتمني يذهب الله عنه فهذا دليل على صراحة الإيوان ومع ذلك فلا يمنع أن يقصد أهل الذكر كما ذهب الصحابة يشكون إلى النبي ﷺ، وكما صنع ابن الديلمي لما أتى أبي ابن كعب ليخرج ما في نفسه "قال في نفسي شيء من القدر: فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: أي أبي "لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت" ويصح ولو مت بالضم مت أو مت كلاهما صحيح ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار" جمل رصينة ثقيلة تقع في النفس موقع يعني تنظف القلب وتكنس ما فيه من هذه الواردات كلها تؤكد على ضرورة الإيوان بالقدر وأن كل شيء بقدر وأنه لا إيمان لمن لا يؤمن بالقدر، فيقول: قال فأتيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت: صاروا مع أبي أربعة - رضي الله عنهم أجمعين - وكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ: يعني من هذه الجمل جملا مرفوعة إلى النبي ﷺ، قال "حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه" مراده في صحيحة يعني في مستدركه؛ لأن الحافظ النيسابوري رحمه

الله استدرك على الصحيحين البخاري ومسلم ما يظن أنه فاتهما، ولكنه في الحقيقة لم يلتزم بشرطها وكأنه أراد أن يراجع ذلك فيما بعد فلم يمكنه ذلك لانصرام الأجل فجاء الذهبي فيما بعد وتتبع المستدرك مستدرك الحاكم فوافقه في أشياء وخالفه في أشياء فما وافق فيه الذهبي الحاكم في استدراكه على الصحيحين أو على أحدهما فهو على شرط الشيخين وما خالفه فيه فلا شك أن الذهبي إمام محقق ومدقق يؤخذ بقوله.

إذا هذا الحديث الذي يعنى ابن الديلمي مناسب جدا للباب : لأن مناسبتة له دالة على وجوب الإيمان بالقدر

والتحذير من إنكاره

نستفيد منه إذا:-

- وجوب الإيمان بالقدر وهذا بين واضح

- وفيه أيضا كفر منكري القدر

- وفيه أيضا الوعيد الشديد على من أنكر القدر

- وفيه أيضا سؤال العلماء عما يشكل من أمور الاعتقاد وغيرها؛ ينبغي للإنسان أن يسأل فإنما يدرك العلم

بالسؤال بعض الناس يقول لا لا تسأل أن تفتح على نفسك باب هذا غير صحيح نعم إن سألت عاميا أو جاهلا نعم فتحت على نفسك باب جهالة لكن قال الله { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

فإذا وقع في نفس الإنسان شيء فيجب على الإنسان أن يسعى في إذهاب ما في قلبه ، ثقوا تمام الثقة - يا

معشر طلبة العلم وطالبات العلم - أنه ليس في ديننا شيء يستحى منه أو ينافي العقل أو ينافي الفطرة ديننا كله حق

بحمد الله نجهر به في المحافل ونعتقه سرا وعلانية فليس شيء في ديننا يعتذر عنه أو يستحى من ذكره لا والله وإنما

يقع هذا لبعض المهزومين الذين ينهرون أمام المتحذلقين من العلمانيين أو الغربيين أو غير ذلك فيسلك مسلك

الاعتذار عن شريعة الله أو عن مسائل الإيمان وغير ذلك وهذه رقة في الدين إن لم تكن أكثر من ذلك والعياذ بالله

بل الواجب علينا أن نعتز بديننا وأن نعلم أنه إن خفي هذا الأمر على أو على فلان أو علان فقد علمه أهل العلم،

طيب إذا ينبغي سؤال أهل العلم عما أشكل هل فقط في الأمور العملية أو الاعتقادية أيضا؟! في كل شيء سل عما

خفي عنك، ولهذا قال النبي ﷺ لصاحب الشجة الذي استفتى أصحابه لما أصابته شجته وأصابته جنابه فقالوا لا بد

لك من غسل فاغتسل فمات فقال النبي ﷺ "قتلوه قتلهم الله هلا سألو إذ لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال".

أيضا نستفيد فائدة أخرى وهي **سؤال أكثر من عالم؛** لا بأس هذا ابن الديلمي قد سأل أبي ابن كعب، و

حذيفة، ومن بن مسعود، ومن زيد - رضي الله عنهم أجمعين - لكن ها هنا تنبيه إذا كان مراد الإنسان بالسؤال زيادة الثبوت واليقين فلا بأس هذا حسن وهذا هو ظاهر من سؤال ابن الديلمي، **الحال الثانية:** أن يكون سؤال الإنسان ناتجا من عدم طمأنينة لإجابة العالم الأول عن عدم طمأنينة يعني قد يقع في نفسه من إجابة العالم الأول الذي سأله أنه غير متمكن من أو جاز في إجابته فلا حرج عليه أيضا إن يسأل غيره ليزداد تثبتا، بقيت، **الحالة الثالثة:** وهو أن يسأل يريد بذلك تتبع الرخص يقول أدور ما هو الأسهل والأخف يبحث عن تنزيلات عن تخفيضات هذا لا يجوز كما يفعل بعض الجهال أو بعض العامة تجد أنهم يعني يتصلون على أو حتى يرسلوا رسائل جوال لأكثر من طالب علم عن مسألة واحدة ثم ينظرون في الإجابات ويأخذون أسهلها وأخفها هذا لا يجوز يجب أن يكون مراد الإنسان إصابة الحق ولهذا قال العلماء من تتبع الرخص تزندق لأنه إذا صار يأخذ الرخصة في كلام كل عالم سيخرج بتشكيكة من الرخص التي تخرجه عن سمت الشريعة فإن الذي رخص في هذه المسألة أو أخطأ فيها أصاب في الباقي فأنت لم تأخذ بجمله قوله فإذا كان الإنسان يلتقط هذه المنثورات والغرائب والشذوذات خرج بدين ملفق لا يجوز.

- ونستفيد أن من واجب العلماء كشف الشبهات عن الناس والاجتهاد في البيان لهم .

المسائل: فيه مسائل

- الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر

[الشرح]: نعم وهذا بين من حديث ابن عمر - رضي الله عنه - وما بعده.

- الثانية: بيان كيفية الإيمان

[الشرح]: كيفيته هو ما وصفه " أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك " هذا

زيادة بيان وآلية الإيمان بالقدر هذا لا شك أنه يزيد الإنسان معرفة بالمطلوب الإيمان بالقدر

- الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به

[الشرح]: لقوله: " لو أنفقت مثل أحد ذهب ما تقبل منك حتى تؤمن بالقدر "

الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به

[الشرح]: وهذا قد تبين أيضا في كلام عبادة يا بني انك لن تجد طعم الإيمان

ذكر أول ما خلق الله

[الشرح]: نعم هو القلم وقد قلنا إن هذه الأولوية نسبية يعني نسبية إلى خلق السماوات الأرض، أما الأولوية المطلقة للمخلوقات فهو العرش.

أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى يوم قيام الساعة

[الشرح]: نعم كما جاء ذلك في رواية أحمد وغيرها

- السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به

[الشرح]: وهكذا جاء في حديث عبادة ابن الصامت

- الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبه بسؤال العلماء

[الشرح]: يؤخذ هذا من قصة ابن الديلمي

- التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط

[الشرح]: نعم إذ أن الصحابة الأربعة كلهم رفعوا ذلك إلى النبي ﷺ وبهذا تزول الشبهة

الباب الذي يليه..... [قراءة المتن]

باب ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: ((قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فيخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)) أخرجاه
ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله))

ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم))

ولهما عنه مرفوعا: ((من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)) ، ولمسلم عن أبي الهياج قال: " قال لعل: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرا مشرفا إلا سويته " .

[الشرح]: قال المصنف - رحمه الله تعالى - باب ما جاء في المصورين: هذا من أهم الأبواب في الحقيقة:

باب ما جاء في المصورين، ممن ماذا؟ من الوعيد الشديد.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد من جهتين: الجهة الأولى: أن التصوير هو منشأ الشرك ، **الجهة الثانية :** أن

التصوير مضاهاة لخلق الله فهو منازعة للربوبية، **إذا مناسبة من جهتين إحداهما متعدية، والأخرى لازمة. المتعدية**

أنه منشأ الشرك، **واللازمة** أن فيها مضاهاة لخلق الله ومنازعة للربوبية **كيف ذلك؟** أما كونه **منشأ للشرك :** فقد

تقدم معنا في أول هذا الكتاب أن أو شرك بني آدم هو أنه لما مات بعض العباد أتى الشيطان إلى قومهم وقال

اعمدوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها فتصنع لهم أنصبا حتى تتذكروهم ويعينكم ذلك على العبادة فامثلوا

أمر الشيطان وصوروا تلك الصور في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها فلما انقرض ذلك الجيل واندثر العلم أتى

إلى من بعدهم وقال اعبدوها هؤلاء يقربوكم إلى الله زلفى فاعبدوها وفي هذا أنزل الله قوله { وقالوا لا تدرن

أهتكم ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا}، فهذه أسماء رجال صالحين كما قال ابن عباس فكان

منشأ الشرك بنوا آدم من التصاوير فهذه التصاوير المعظمة المنحوتة أو المعلقة مدعاة لحصول الشرك في بني آدم.

الثاني: أن فيه مضاهاة لخلق الله: لأن الذي يأخذ أزميل ومطرقة وينحت في حجرا أو خشب ليشكل منه ما يشبه

خلق الله من ذوات الأرواح أو يأخذ قلما أو ريشة ويأخذ يخطط ويصور فكأنما يحاكي خلق الله - عز وجل -

ويضاهيه فصار لهذين الأمرين منافيا للتوحيد - صلى الله عليه وسلم -

ذكر فيه حديث أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: " قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى:- إذا هو حديث قدسي

حديث الهي - **قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي"**: هذا الاستفهام ماذا نسميه؟ استفهام للنفي و

الإنكار أي لاحظ لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي وهذا كثير في النصوص أن يأتي ومن اظلم فمثلا تجد قول

الله تعالى: { ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه}، وفي الحديث "ومن اظلم ممن ذهب يخلق

كخلقي " **فهل يقال إن هذه انه يجب الترجيح بينها أيها أظلم أو قال إن هذه الأفضلية على مستوى معين؟** هذا

الثاني أوفق وأحكم أن يقال مثلا في باب الصد عن سبيل الله لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه لأن

مساجد هي محل ذكر الله، وفي باب الشرك لا احد أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله وهكذا يجعل كل سؤال على

مستوى أو في مقام معين، **"قال ومن أظلم"** أي لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي لأن المصور يضاهي ويحاكي

خلق الله **فليخلقوا ذرة:** هذا الأمر فليخلقوا **هل هو على وجهه** يعني الله أمرهم أن يخلقوا ذره أو خرج مخرج

التهديد والوعيد؟ هذا الثاني خرج مخرج التعجيز يعنى التعجيز والتحدي فليخلقوا ذرة **وما هي الذرة؟** النملة

الصغيرة يعنى ضرب مثال بأصغر المخلوقات التي يبصرونها تحدي بالغ لم يأمرهم أن يخلقوا جملا أو فيلا أو جبلا

أو نحو ذلك وإنما قال فليخلقوا ذرة وما هم بمستطيعين **أو ليخلقوا حبة**: الحبة هي واحدة الحب وهو ما يطعم من النبات والزرع، **أو ليخلقوا شعيرة**: كذلك الشعير نوعا آخر من الحبوب الحب غالبا ما يمكن يطلق على الحنطة والشعير نوعا آخر **أخرجاه**: أي البخاري ومسلم.

فهذا الحديث مناسب للباب مناسبة واضحة: لأنه يدل على تحريم التصوير والوعيد على فاعليه أو ذم فاعليه ووصفه بأظلم الظلم.

ونستفيد من هذا الحديث فوائد عدة:-

- أولها: تحريم التصوير
- ثانيا: أن المصور من أظلم الظالمين بشهادة رسول الله ص
- وهناك فائدة أخرى وهي إثبات صفة الكلام لله - عز وجل - من أين ذلك قال الله تعالى لأن القول هو الكلام إذا الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي مسموع يليق بجلاله لا يشبه كلام المخلوقين فالله تعالى له صفة الكلام
- أيضا فيه دليل على أن التصوير مضاهاة لخلق الله - عز وجل - من أين؟ "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي" الكاف للتشبيه ولا يلزم أن يكون المشابهة من جميع الوجوه إذا فيه مضاهاة لله تعالى في خلقه
- وأيضا نستفيد من ذلك اختصاص الله - عز وجل - بالخلق لأنه لا يمكن لأحد أن يخلق هذه المذكورات ولا ذرة ولا شعيرة ولا حبة. طيب وهذا يدعوننا أن نذكر التفصيل في: **حكم التصوير** فنقول من حيث الجملة أن

التصوير نوعان: تصوير ما له روح، وتصوير ما لا روح فيه.

فتصوير ذوات الأرواح:

ويعبر عنها العلماء أحيانا بما له ظل هذا لا يجوز لا يجوز إذا كان نحتا أو إذا كان تخطيطا إذا كان نحتا بأن يجسمه تجسيما فيجعله مثلا له ظل وله حجم كأن يعمد إلى حجر أو خشب ويشكله على هيئة إنسان أو على هيئة طائر أو على هيئة حيوان إذا هذا **تصوير بالنحت والتشكيل لشيء فيه روح في أصلها فهذا محرم بالإجماع أجمع العلماء على التحريم،** وإذا كان ذلك بالتلوين والتخطيط بأن أتى بقلم وجعل وضع إنسانا أمامه كما يفعل هؤلاء الرسامون، وجعل يحاكيه ويرسمه ويخرجه على لوحة بصورته، هذا أيضا محرم والدليل عليه حديث النمرقة في حديث عائشة رضي الله عنها لأن النمرقة يكون عليها رسم سطحي ما له ظل فأمر النبي ﷺ فقطعت فجعلت وسادتين هذا أيضا لا يجوز لأن المضاهاة فيه ظاهرة. إذا قلنا إن التصوير ينقسم إلى قسمين: (تصوير ما له روح

وتصوير ما لا روح له)

فتصوير ما له روح له ثلاث حالات: - الأولى: أن يكون له ظل وذلك ما يحصل بالنحت والتشكيل: فهذا

محرم باتفاق العلماء كأن ينحته بمطرقة وأزميل من حجر أو خشب أو مثلاً يأتي بطين أو صلصال ويشكل صورة من ذوات الأرواح هذا محرم بالإجماع.

الحال الثانية: أن يكون بالتخطيط والتلوين: بأن يأخذ قلماً وريشة من ذوات الأرواح آدمي أو طير أو

حيوان فهذا أيضاً محرم لحديث النمرقة في صحيح البخاري وغيره وأمر النبي ﷺ بقطعها.

الحال الثالثة: أن يكون بالآلة التي تسمى عندنا الكاميرا آلة التصوير: فهذه لم تكن في زمن النبي ﷺ ولا

عند السلف المتقدمين وإنما وجدت في العصور الأخيرة فاختلف العلماء في الصورة الملتقطة عن طريق الآلة هل عمل المصور يعد تصوير يدخل في عمومات النصوص أم لا يعد تصويراً؟

فذهب جمع من العلماء إلى أن ذلك من التصوير المحرم وأنه يطلق عليه تصوير وهم يسمونه مصور،

وبالتالي فإنه مشمول بالأحاديث الواردة في تحريم التصوير ووعيد المصورين، وذهب بعض العلماء المعاصرين

إلى أن ذلك وإن سمي تصوير اصطلاحاً لكنه ليس تصويراً في الحقيقة لأن الذي يلتقط الصورة عن طريق

الآلة ليس له دور في تشكيلها وتصويرها بل الصورة الملتقطة هي الصورة التي خلقها الله كما لو يقف الإنسان

أمام مرآة فتبدو صورته عليها الصورة المنعكسة في المرآة هذه هل لأحد دخل في تصويرها أم هي الصورة التي

خلقها الله هي الصورة التي خلفها الله انعكست على المرآة إذا وقف الإنسان على حافة بحيرة ساكنة انعكست

صورته على الماء هذه الصورة هي الصورة التي خلقها الله قالوا كذلك هذه الآلة إنما ثبتت الصورة التي خلقها

الله - عز وجل - ولهذا لو ضغط زر الكاميرا كبير أو صغير، ذكر أو أنثى، مبصر أو أعمى لخرجت ذات

الصورة نفس الصورة إذا هي هذه الصورة ليست تصويراً لأنه هذا الملتقط هو الصورة التي خلقه الله - عز

وجل - تماماً مثل لو كتبت خطاباً ثم بعد ذلك وضعته على آلة التصوير وسحبت منه صورته ماذا يقال عن هذا

الخط خطه من يقال خط فلان الكاتب الذي كتب الأصل فيقال هذه الصورة التي نتجت من التقاط كاميرا

هي الصورة التي خلقها الله ولا شأن لهذا الإنسان بها فسهلوا الأمر وقالوا إن التصوير الفوتوغرافي لا يدخل

في مضاهاة خلق الله - عز وجل - لا يدخل في باب المضاهاة. لكن يبقى أن الناتج صورة الناتج يسمى صورة

فيتطرق المنع لا من جهة كونها مضاهاة لخلق الله وأن ذلك تصوير ولكن تتعلق الأحكام بالناتج فيقال هذا

الناتج لا تبيحه إلا الحاجة أو الضرورة و إلا فالأصل منع اقتناء الصور لأن النبي ﷺ أخبر بأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة فيقولون نعم هذا الناتج صورة ونقر ونسلم بأنه صورة فإن دعت حاجة أو ضرورة فالضرورات تبيح المحذورات كمثلا الصور التي تتخذ لإثبات الهوية أو للمسائل الجنائية أو الطبية أو غير ذلك مما فيه ضرورة أو مصلحة راجحة فسهلوا في هذا الجانب من باب أن ذلك ليس تصويرا وإنما هو حبس للظل لا أقل ولا أكثر هذا ما يتعلق بالقسم الأول وهو تصوير ما له روح **نتقل بعد ذلك إلى تصوير ما لا روح فيه**، ويمكن أيضا أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: تصوير ما يصنعه الآدمي فالآدمي مثلا يصنع أشياء يصنع مثلا طاولة وكروسي وسيارة فهل يجوز تصوير هذه الأشياء التي لا تحلها الروح من صنع الآدمي؟ يجوز أن يرسم الإنسان سيارة أو طاولة أو بيت ونحو ذلك فهذا جائز باتفاق العلماء

الحال الثانية: تصوير ما هو من صنع الله مما يكون ناميا ما نقول مما فيه روح لكن مما يكون له نمو مثل ماذا؟ كالشجرة أو الحب أو نحو هذا فهذا نقل عن بعض السلف وهو تحديدا مجاهد ابن جبر رحمه الله المنع هو لا روح فيه لكن فيه نمو فهو خلق من خلق الله ينمو فنقل عن مجاهد رحمه الله التحريم وقيل مباح وهذا الثاني أقرب ولهذا قال ابن عباس للمصور "عليك الشجر والحجر" فهذا لا بأس به بأن يصور الإنسان الأشجار والأنهار والحبوب والثمار ونحو ذلك لا حرج في ذلك

أما تصوير ما ليس بنام؛ فهذا لا بأس به جائز باتفاق ما كان من صنع الله وليس بنام ليس فيه نمو مثل الجبال والبحار والأنهار فهذه ليس فيها النمو الذي يكون في الأشجار والحبوب والزهور ونحو ذلك فهذا جائز بالاتفاق هذا هو مجمل القول في مسألة التصوير

♦ **ثم قال المصنف رحمه الله:** "ولهما" أي للشيخين لأنه قال في الحديث السابق أخرجاه، **"ولهما عن**

عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله" أي

يشابهون يتشبهون بما يصنعون صنع الله - عز وجل - فهؤلاء هم أشد الناس عذابا يوم القيامة - عياذا بالله .

♦ **فمناسبته للباب ظاهرة:** لأن فيه شدة الوعيد على المصورين.

♦ **ونستفيد منه:-**

- تحريم التصوير.

- نستفيد أيضا أن التصوير مضاهاة لخلق الله.

- نستفيد ثالثا تفاوت العذاب يوم القيامة لأنه قال "أشد" تفاوت العذاب يوم القيامة بحسب الجرم.

- نستفيد أيضا أن التصوير من كبائر الإثم، وعظائم الذنوب.

- ونستفيد أيضا وجوب احترام جانب الربوبية لأنه قال "يضاهئون بخلق الله".

◆ **ثم قال "ولهما":** هكذا قال المصنف - رحمه الله - "ولهما" والصحيح أن الحديث في مسلم فقط،

"ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كل مصور في النار يجعل له بكل صورة

صورها نفس يعذب بها في جهنم"، هذا الحديث أيضا فيه تخويف بالغ كل مصور في النار، وهذا العموم أريد

به الخصوص: يعني كل مصور لذات روح وليس بالإطلاق في النار أي عقوبته أنه يدخل النار، وهذا من

نصوص الوعيد التي تجرى على ظاهرها، **يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم** : -الله أكبر-

يعني كل صورة صورها يجعل له فيها نفس تعذبه في جهنم يعني تستحيل تلك الصور إلى نفوس تعذبه في

جهنم فبقدر ما استكثر من الصور يستكثر ممن يعذبه في جهنم -نعوذ بالله- يعذب بها في جهنم.

◆ **"ولهما عنه مرفوعا من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ"** وهذا أيضا

تعجيز بالغ يقال له أحي ما خلقت يؤتى له بتلك الصورة لذلك التمثال ويقال له أحي ما خلقت وأنى له أن

يحيها لأن الأحياء بيد الله - عز وجل.

فهذان الحديثان مناسبان للباب: لأن فيهما تحريم التصوير والوعيد على المصورين.

ونستفيد منه ما استفدنا مما سبق:-

- شدة تحريم التصوير، وأنه من كبائر الذنوب لحصول هذا الوعيد عليها.

- وكذلك يدل على أن التصوير يتناول كل ما فيه مضاهاة لخلق الله سواء كان نحتا أو تشكيلا أو تخطيطا أو

تلويها فكل ما فيه مضاهاة لخلق الله فانه يدخل في حد التصوير

وفيه ما يدل على طول عذاب المصورين لماذا؟ لأنه يقال لهم أحيوا ما خلقتهم وهل يمكن يقع منهم ذلك

ولو طال الزمن؟ لا والله فهذا يدل على طول عذابهم - وأيضا ما يدل على شدة عذابهم من أين من أنه يجعل له

بكل صورة صورها نفس يعذب بها. وفيه اختصاص الله - عز وجل - بالخلق فلا يشاركه أحد في ذلك.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.